من هم الروم ومن هم بنو الأصفر

عن عَوْف بْن مَالِكٍ، قَالَ: (أَتَيْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ وَهُوَ فِي قُبَّةٍ مِنْ أَدَمٍ، فَقَالَ: اعْدُدْ سِتًّا بَيْنَ يَدَيِ السَّاعَةِ: مَوْتِي، ثُمَّ فَتْحُ بَيْتِ المَقْدِسِ ، ثُمَّ مُوْتَانٌ يَأْخُذُ فِيكُمْ كَقُعَاصِ الغَنَمِ، ثُمَّ اسْتِفَاضَةُ المَالِ حَتَّى يُعْطَى الرَّجُلُ مِائَةَ دِينَارٍ فَيَظَلُّ سَاخِطًا، ثُمَّ فِتْنَةٌ لاَ يَبْقَى بَيْتٌ مِنَ العَرَبِ إِلَّا دَخَلَتْهُ، ثُمَّ هُدْنَةٌ تَكُونُ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ بَنِي الأَصْفَرِ، فَيَغْدِرُونَ فَيَأْتُونَكُمْ تَحْتَ ثَمَانِينَ غَايَةً ، تَحْتَ كُلِّ غَايَةٍ اثْنَا عَشَرَ أَلْفًا) رواه البخاري (3176).

والقاعدة الأصولية المشهورة أن الألفاظ التي لم يعطها الشرع معنى مخصوصا فإنها تفسر بعرف العرب العام المشتهر أثناء نزول الوحي، لأن الوحي نزل بلغتهم وخاطبهم بما تعارفوا عليه.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى: "الواجب أن تعرف اللغة والعادة والعرف الذي نزل في القرآن والسنة، وما كان الصحابة يفهمون من الرسول عند سماع تلك الألفاظ؛ فبتلك اللغة والعادة والعرف خاطبهم الله ورسوله. لا بما حدث بعد ذلك " انتهى. " مجموع الفتاوى " (**7 / 106**).

ومصطلح "بنو الأصفر" في عرف العرب في عصر النبوة كان يطلق على الروم، كما في حديث أبي سفيان في قصة دخوله على هرقل ملك الروم، فبعد ذكره لقصته تلك قال أبو سفيان: (فَقُلْتُ لِأَصْحَابِي حِينَ أُخْرِجْنَا: لَقَدْ أَمِرَ أَمْرُ ابْنِ أَبِي كَبْشَةَ – يقصد النبي صلى الله عليه وسلم –، إِنَّهُ يَخَافُهُ مَلِكُ بَنِي الأَصْفَرِ – أي هرقل ملك الروم) رواه البخاري (7) ومسلم (1773).

كما أن الروم هم المنصوص عليهم في الأحاديث المخبرة عن حروب المسلمين في آخر الزمان. والروم في عرف العرب عند نزول الوحي هم نصارى أوروبا الذين كان في يدهم حكمها وملكها.

قال ياقوت الحموي رحمه الله تعالى: "الروم: جيل معروف في بلاد واسعة تضاف إليهم فيقال بلاد الروم، واختلفوا في أصل نسبهم... وعندي أنّهم إنّما سمّوا بني الأصفر لشقرهم، لأن الشقرة إذا أفرطت صارت صفرة صافية... وأمّا حدود الروم فمشارقهم وشمالهم الترك والخزر ورسّ، وهم الروس، وجنوبهم الشام والإسكندرية، ومغاربهم البحر والأندلس " انتهى. " معجم البلدان " (**3 / 97 – 98**).

والروم وإن كانوا في أصلهم جنسا معينا إلا أنه غلب إطلاق هذا الاسم عليهم وعلى من خالطهم واتبعهم من غيرهم من نصارى أوربا.

قال الشيخ الطاهر ابن عاشور رحمه الله تعالى: "والروم: اسم غلب في كلام العرب على أمة مختلطة من اليونان والصقالبة ومن الرومانيين الذين أصلهم من اللاطينيين سكان بلاد إيطاليا نزحوا إلى أطراف شرق أوروبا. تقومت هذه الأمة المسماة الروم على هذا المزيج فجاءت منها مملكة تحتل قطعة من أوروبا وقطعة من آسيا الصغرى وهي بلاد الأناضول. وقد أطلق العرب على مجموع هذه الأمة اسم الروم تفرقة بينهم وبين الرومان اللاطينيين... وكانت بيزنطة من جملة مملكة إسكندر المقدوني. وبعد موته واقتسام قواده المملكة من بعده صارت بيزنطة دولة مستقلة وانضوت تحت سلطة رومة فحكمها قياصرة الرومان إلى أن صار قسطنطين قيصرا لرومة وانفرد بالسلطة في حدود سنة **322** مسيحية، وجمع شتات المملكة فجعل للمملكة عاصمتين عاصمة غربية هي رومة وعاصمة شرقية اختطها مدينة عظيمة على بقايا مدينة بيزنطة وسماها قسطنطينية... " انتهى من " التحرير والتنوير " (**21** / **42** – **43**).

فالحاصل؛ أن هؤلاء القوم من نصارى أوروبا هم المقصودون بالحديث. ويمكن اعتبار امريكا من للروم لانهما نشأوا من الهجرات الاوروبية اليها.

هذا والله تعالى اعلى واعلم